الفصل الثالث والعشرون

الشجاعة وقوة القلب

الشجاعة عماد الفضائل، ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة، وهي أساس العزة والنصرة، ولن تحوز الأمة أبدًا مكانة بين خصومها ولن تكون لها كرامة أمام أعدائها إلا إذا اتصف أبناؤها بهذا الوصف النبيل، من قوة القلب، ورباطة الجأش، والاستهانة بملاقاة المكاره، والشجاعة في مواجهة الأحداث، وبدون تلك الشجاعة تسقط الكرامة وتضيع المكانة، وتصير الأمة ذليلة مهينة يسومها عدوها ما شاء من ألوان الأذى، وهي لا تملك من أمرها شيئًا، وإن المرء حينما يتلوث قلبه بالجبن؛ يكون خسيس المكانة دنيء المنزلة، لا يؤبه له ولا به، ويسقط قدره بين الناس، ومن المقرر المعلوم أن الشجاع يحبه كل أحد حتى عدوه، والجبان يبغضه كل أحد حتى أمه، ومن حرص على الموت وُهِبَتْ له الحياة ولن يقع للمرء أبدًا إلا ما قدره الله وقضاه، ومن رسخ في قلبه الإيمان بالقَدَرِ كانت الشجاعة وصفه وحاله وقد قيل:

من لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعددت الأسباب والموت واحدُ

معنى الشجاعة

الشجاعة لغة: الجرأة والإقدام وشدة القلب عند البأس[(١)].

واصطلاحًا: هي الإقدام على المكارة والمهالك عند الحاجة إلى ذلك وثبات الجأش عند المخاوف مع الاستهانة بالموت.

وقيل: هي الصبر والثبات والإقدام على الأمور النافع تحصيلها أو دفعها، وتكون في الأفعال والأقوال[(٢)].

---

(١) «لسان العرب» (٤/ ٢٢٠٠).

(٢) «نضرة النعيم» (٦/ ٢٣٢٢) ط دار الوسيلة.

مكانة الشجاعة في الإسلام

إن أصل الخير كله في ثبات القلب وشجاعته، وكل كريهة تدفع وكل كرامة تكتسب لا تكون إلا بالشجاعة، والشجاعة ليست إلا ثمرة للإيمان وقوة التوكل وكمال الثقة بالله، وعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقد قال الله تعالى آمرًا عباده بالإقدام على مكافحة المشركين وعدم الضعف في منابذتهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وبين الله صفة الصفوة المجتباة من المؤمنين الذين هم أنصار الله ورسله وحملة الدين وحماته بهذا المعنى العظيم فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]، يقول الشيخ محمد الخضر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكَّر المسلمين في هذه الآية بأن ما عسى أن يلاقوه من آلام الحروب يلاقي خصومهم مثلها، فكأنه يقول لهم: لا ينبغي أن يكون خصومكم وهم أشياع الباطل، أصبر على الآلام وأثبت في مواقف الأخطار منكم، وأنتم حماة الحق والدعاة إلى الخير، ولاسيما حماة ودعاة يرجون من نصر الله وجزيل مثوبته ما لا يرجوه أعداؤهم الغاوون المفسدون، ربَّى الإسلام بهذه الآية خلق الشجاعة في النفوس؛ فأخرج أمته لا تهاب الخطوب وترى الموت في سبيل إعلاء كلمة الحق، أو الاحتفاظ بالكرامة خيرًا من ألف حياة يقضيها صاحبها في هون أو مشاهدة الباطل يمشي على الأرض مرحًا، وكان أولئك الذين رباهم الإسلام وبث فيهم روح البطولة يتشوقون إلى الإقدام، وينطقون في هذا الشأن بحكمة بالغة، وانظروا إلى قول أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في وصيته لخالد بن الوليد: «احرص على الموت توهب لك الحياة»، يريد بهذا حثه على اقتحام مواقع القتال والخوض في غمراتها خوض من ينشد الموت، والحياة العزيزة والفزع من الموت

لا يلتقيان بأرض حتى يلتقي البصر والعمى في عين واحدة ومما ينظر إلى معنى حكمة الصديق قول الحصين ابن الحمام:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما[١]

هذا وقد حرم الله على المؤمنين إذا التقوا بالجموع الكافرة أن يولُّوا الأدبار، لما في ذلك من كسر قلوب المسلمين، وإضعاف نفوسهم، وشماتة الكافرين وتقوية نفوسهم، وجعل الله عَزَّوَجَلَّ من الكبائر العظيمة التولي يوم الزحف وقد جعلها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من السبع الموبقات، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال، قال: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[٢].

أقسام الشجاعة

الشجاعة نوعان:

أحدهما- الإقدام على مواقع القتال والثبات على مكافحة الأبطال وهي الشجاعة الحربية.

وثانيهما- الإقدام على قول الحق، وإبداء النصيحة، ولو لذي جاه أو سلطان يكره أن يؤمر بمعروف أو ينهي عن منكر، وهذا ما نسميه الشجاعة الأدبية[٣]، وإليك إيضاح هذين النوعين بالأمثلة التي تترجم المعنى وتبين المراد.

---

(١) «رسائل الإصلاح» (٢/ ٢٦-٢٧) ط دار الاعتصام.

(٢) رواه البخاري [٢٧٦٦]، ومسلم برقم [١٢٩].

(٣) «رسائل الإصلاح» (٢/ ٦٢).

النوع الأول- الشجاعة الحربية:

وهي بذل الروح رغبةً في العزة، وأنفةً من الذل والهوان، ودفاعًا عن الحق، إنها إقدام مزلزل إلى مواطن الأخطار وعدم المبالاة بالشدائد المفزعة، وعدم الاكتراث بقوة عدو أو مكر خصم أثيم، وأولى الناس بهذه الصفة هم المؤمنون؛ لأنهم يبذلون لغاية، ويسعون لتحقيق أهداف نبيلة، والموت أحب إليهم من الحياة لأن دينهم عندهم أثمن وأغلى من أرواحهم ودمائهم. ولو تصفحت في أحداث التاريخ لوقفت على صور مدهشة حينما تنتصر فيها قلة قليلة على جيوش جرارة، وكم أذل المسلمون الفرسَ والرومَ برغم قلة عددهم وعُددهم ولكن هذا حيثما كانت عزة المسلم بدينه وانتماؤه الصادق إليه ولما هان على المسلمين دينهم هانوا على عدوهم، ولو عادت الأمة إلى ربها لعاد إليها عزها ومجدها قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة:٢٤٩]، عن العلاء بن سفيان الحضرمي قال: غزا بُسر بن أرطاة الروم فجعلت ساقته لا تزال تصاب، فيُكْمِنُ لهم الكمين فيصاب الكمين، فلما رأى ذلك تخلف في مائة من جيشه، فانفرد يومًا في بعض أودية الروم فإذا براذين[1] مربوطة نحو ثلاثين والكنيسة إلى جانبهم فيها فرسان تلك البراذين الذين كانوا يعقبونه في ساقته، فنزل عن فرسه فربطه ثم دخل الكنيسة فأغلق عليه وعليهم بابها، فجعلت الروم تعجب من إغلاقه، فما استقلوا إلى رماحهم حتى صرع منهم ثلاثة، وفقده أصحابه فطلبوه فأتوا فعرفوا فرسه وسمعوا الجلبة في الكنيسة فأتوها، فإذا بابها مغلق، فقلعوا بعض السقف ونزلوا عليهم وبسرٌ ممسك طائفة من أمعائه بيده والسيف بيده اليمنى، فلما تمكن أصحابه في الكنيسة سقط بُسر مغشيًا عليه، فأقبلوا على أولئك فأسروا وقتلوا فأقبلت عليهم الأسارى فقالوا ننشدكم الله مَن هذا؟ قالوا: بُسر بن أرطاة، فقالوا: والله ما ولدت النساء مثله، فعمدوا

(١) براذين: جمع برذون وهي الخيول والبغال غير العربية.

إلى أمعائه فردوه في جوفه ولم ينخرق منه شيء ثم عصبوه بعمائمهم وحملوه ثم خاطوه فسلم وعُوفي[١].

وعن موسى بن أبي إسحاق الأنصاري أن علي بن أسد كان قد قَتَلَ وصنع أمورًا عظامًا، فمرَّ ليلة بالكوفة فإذا برجل يقرأ من جوف الليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فقال علي: أعد، فأعاد ثم قال: أعد، فأعاد ثم قال: أعد، فأعاد فعمد فاغتسل ثم غسل ثيابه فتعبد حتى عمشت عيناه من البكاء وصارت ركبتاه كركبتي البعير، فغزا البحر، فلقي الروم فقرنوا مراكبهم بمراكب العدو قال علي: لا أطلب الجنة بعد اليوم أبدًا، فاقتحم بنفسه في سفائنهم، فما زال يضربهم وينحازوا، ويضربهم وينحازوا حتى مالوا في شق واحد فانكفأت عليهم السفينة فغرق وعليه درع الحديد[٢].

النوع الثاني- الشجاعة الأدبية:

إذا سكت أهل الحق عن بيانه والدعوة إليه ومجاهدة المبطلين والمفسدين؛ فإن الباطل سوف ينتفش وسوف ينطلي على الناس ما فيه من زيف، وإذا غابت الدعوة عن أرض؛ ظهرت فيها جراثيم الإفساد وتغالب الباطل وذئاب المعاصي والبدع، وإذا أشرقت شمس الدعوة في مكان طهرتها من سخائم الصدور وخبائث الشرور، وطردت عنها خفافيش الظلام، ولن تستقيم الدعوة ولن تؤثر إلا إذا حملها رجال شجعان قد امتلأت قلوبهم بحبها والانتماء إليها، وتالله لو سكت العلماء عن بيان الحق وبلاغه لضاعت الدعوة ولحصل الفساد العريض، إن هذا النوع من الشجاعة هو الوصف الأصيل للربانيين من العلماء الذين بذلوا أعمارهم وأوقاتهم في تعلم الحق وتعليمه ودعوة الناس إليه، أما عُباد المناصب والكراسي فهم أهل الخنوع والخضوع والانهزامية المخزية والسلبية المقيتة

(١) «مشارع الأشواق» لابن النحاس (١/ ٥٤١).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥٥٤).

تجاه الأحداث، إنه لا يبرز في الأحداث الشديدة التي تمر بها الأمة إلا الصادقون الذين لا يعنيهم إلا نشر الحق ونصره، ولو كان في ذلك ذهاب نفوسهم وأرواحهم؛ لأنهم لهذا الحق يعيشون وبه يعملون، دخل عطاء بن أبي رباح على هشام فرحب به وقال: ما حاجتك يا أبا محمد؟ وكان عنده أشراف الناس يتحدثون، فسكتوا، فَذَكَّره عطاء بأرزاق أهل الحرمين وأعطياتهم فقال: نعم، يا غلام اكتب لأهل المدينة وأهل مكة بعطاء أرزاقهم ثم قال: يا أبا محمد هل من حاجة غيرها؟ قال: يا أمير المؤمنين اتق الله في نفسك فإنك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك، ولا والله ما معك ممن ترى أحد قال: فجعل هشام يبكي، وقام عطاء فلما كان عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس ما ندري ما فيه أدراهم أم دنانير؟ وقال: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بهذا فقال: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٠]، ثم خرج ولا والله ما شرب عندهم حسوة ماء فما فوقها[(١)].

دعا الحجاج بن يوسف فقهاء البصرة وفقهاء الكوفة وكان من بينهم الحسن البصري وكان آخر من دخل فقال الحجاج: مرحبًا بأبي سعيد إليَّ إليَّ، ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه، فجعل الحجاج يذاكرهم ويسائلهم، ثم ذكر علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونال منه؛ فوافقه الجالسون مقاربة له وفرقًا من شره والحسن ساكت عاضٌّ على إبهامه فقال الحجاج: يا أبا سعيد مالي أراك ساكتًا؟ قال: ما عسيت أن أقول؟ قال: أخبرني برأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله جل ذكره يقول: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فعليٌّ ممن هدى الله من أهل الإيمان فأقول: ابن عم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وختنه على ابنته، وأحب الناس إليه، وصاحب سوابق مباركة سبقت له من الله، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس

(١) «مختصر منهاج القاصدين» [١٣٩-١٤٠] ط دار العقيدة.

أن يحظرها عليه، ولا يحول بينه وبينها، وأقول: إن كان لعلي هَنَّات، فالله حسبه، والله ما أجد فيه قولًا أعدل من هذا فَبَسَر وجه الحجاج وتغير، وقام عن السرير مغضبًا فدخل بيتًا خلفه، وخرج القوم،

قال عامر الشعبي -وكان جالسًا معهم- فأخذت بيد الحسن فقلت: يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره فقال: إليك يا عامر يقول الناس: عامر الشعبي عالم الكوفة أتيت شيطانًا من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه، ويحك يا عامر، هلَّا اتقيت الله إن سُئِلْتَ فصدقت، أو سَكَتَّ فَسَلِمْتَ، قال عامر: يا أبا سعيد، قد قلتها وأنا أعلم ما فيها، قال الحسن: فذلك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة.

أشجع الناس

أحق الناس أجدرهم بصفة الشجاعة هم أنبياء الله ورسله لاسيما، وقد اختارهم واصطفاهم من بين الناس ليكونوا حملة شرعه ومبلغي رسالاته، وهذا الاصطفاء كان على أساس ما توافر لديهم من صفات الكمال البشري، والتي منها الشجاعة، فهم أقوى الخلق قلوبًا، وأعظمهم شجاعة وإقدامًا وإن الناظر في حياتهم لَيَقِفُ على هذا المعنى بجلاء، ولكن إمامهم وإمام الدنيا كلها في ذلك هو رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك حين وقف وحده في كفة والعالم كله في كفة وما هي إلا مدة يسيرة حتى أذعنت القلوب لدعوته واستجابت لندائه، وطرحت عن نفسها غشاوة الجهل والكفر والعمى، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، لقد صدع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الحق المبين وسط مجتمع يموج بالكفر والجهالة، وبين أناس قساة القلوب غلاظ الأكباد، لقد واجههم بالتوحيد، وأقام عليهم الحجة بإقدام وشجاعة وصبر وثبات برغم ما أصابه منهم من أذى، وما ناله منهم من كيد ومكر، لقد وقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام صناديد الكفر وأئمة الضلال بشجاعة لم تعهد لها الدنيا نظيرًا، حتى ثابت النفوس إلى الحق وسرى إليها نور التوحيد والإيمان؛ فصارت من جنوده، وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان

رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناسٌ قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عُري في عنقه السيف وصار يقول: «**لم تراعوا لم تراعوا**» قال: «**وجدناه بحرًا أو إنه لبحر**» قال وكان فرسًا يُبَطَّأ[1].

في هذا الحديث بيان ما أكرم الله به رسوله ﷺ من جميل الصفات وأن هذه صفات كمال، وفيه فوائد، منها: بيان شجاعته ﷺ من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس، وفيه: بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعًا بعد أن كان يبطأ وهو معنى قوله ﷺ: «**وجدناه بحرًا**» أي واسع الجري، وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق لهلاك[2].

وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجُذامِيُّ، فلما التقى المسلمون والكفار ولَّى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، وقال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة ألَّا تُسْرِع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**أي عباس، ناد أصحاب السمرة**» فقال عباس -وكان رجلًا صَيِّتًا- فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار! يامعشر الأنصار قال: ثم قصرت الدعوة على

(١) رواه البخاري برقم [٢٩٠٨]، ومسلم [٢٣٠٧].

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٦٩) ط دار ابن رجب.

بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هذا حين حَمِيَ الوطيس**» قال: ثم قال: «**انهزموا وربِّ محمد**» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلًا وأمرهم مدبرًا(١).

ويقول البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به، وإن الشجاع مِنَّا الذي يحاذي به يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

قال العلماء: ركوبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضًا يكون معتمدًا يرجع المسلمون إليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمدًا، وإلا فقد كانت له أفراس معروفة، وما ذكر في هذا الحديث من شجاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تقدمه يركض بغلته إلى جمع المشركين وقد فرَّ الناس عنه، وفي الرواية الأخرى: أنه نزل إلى الأرض حين غشوه، وهذه مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلًا على الأرض من المسلمين وقد أخبرت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بشجاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع المواطن(٣).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه غزا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نجد، فلما قفل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قفل معهم، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت شجرة فعلق بها سيفه ونمنا نومة، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال: «**إن هذا اخترط**

---

(١) رواه مسلم برقم [١٧٧٥].

(٢) رواه مسلم برقم [١٧٧٦].

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٣٣٣-٣٣٤) ط دار ابن رجب.

عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظتُ وهو في يده صلتًا، قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله ثلاثًا» ولم يعاقبه وجلس[(١)].

وفي رواية الإسماعيلي في صحيحه: قال: من يمنعك مني؟ قال: «الله» قال: فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السيف: فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ فقال: «تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» قال: لا ولكني أعاهدك ألَّا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فَخَلَّى سبيله، فقال: جئتكم من عند خير الناس».

شجاعة الأنبياء

هذا شيخ الأنبياء نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ظل يدعو ألف سنة إلا خمسين عامًا يجابه قومه بالحجة ويواجههم بالحق لا يخشى كيدهم ولا يفزع من مكرهم ولا يضعفه ما يرى من سخريتهم واستهزائهم بل يمضي قدمًا داعيًا إلى ربه صابرًا على ما يلقاه من أذى لا يعرفه ولا يصدقه عن دعوته شيء، وها هو صلوات الله وسلامه عليه يقول لقومه بكل قوة وشجاعة وثبات: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يُونُسٓ: ٧١]، قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ﴾ أي: عظُم وشق، و﴿عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ أي: طول مكثي، و﴿وَتَذْكِيرِى﴾ وعظي، ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في نصرتي ودفع شركم عني، و﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾ أي: أحكموا أمركم واعزموا عليه، و﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: لا يكن أمركم مكتومًا، و﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: اقضوا إلي بمكركم وما ستهدونني به[(٢)]، كأنه يقول: افعلوا كل ما تستطيعونه وتقدرون عليه فلن أترك دعوتي ولن أتخلى عن تبليغ رسالة الله ما دامت فيَّ حياة.

---

(١) رواه البخاري برقم [٢٩١٠]، ومسلم برقم [٨٤٣].

(٢) «زاد المسير» لابن الجوزي باختصار (٤/ ٤٧-٤٨) ط المكتب الإسلامي.

obeikandl.com

وهذا خليل الرحمن إبراهيم الذي جعل الله له لسان صدق في الآخرين وجعله قائد مسيرة الموحدين ووالدًا ولكل من جاء بعده من الأنبياء والمرسلين يقول لقومه بكل قوة وشجاعة وجرأة، قال تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧-٥٨]، ثم انظر إليه وهو يواجه طاغية ذلك الزمان ويقارعه بالحجة ويناظره بالبرهان المبين، ويكسر صولته ويخزي مكانته ويسكت حجته ويدحض شبهته ويظهر للناس ضلاله وكفره، وانحرافه وجهله، وذلك حينما عَرَّفه إبراهيم بربه أنه الله الذي يحيي ويميت وأنه لا يملك أحد ذلك إلا هو، ولكن هذا الملك الغبي ظن أنه بمجرد أن يحكم في رجلين فيعفو عن أحدهما ويعفو عن الآخر أنه بذلك يحيي ويميت، فيبهته إبراهيم بالحجة الناصعة الرادعة، فيقول: إن الله الذي يحيي ويميت يأتي بالشمس كل يوم من جهة المشرق، فهل تستطيع أنت أن تخالف مراده سبحانه وتأتي بها من جهة المغرب، فيقف الخبيث حائرًا بائرًا مدحورًا مخذولًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وها هو نبي الله هود يرسله الله عَزَّوَجَلَّ إلى أمة متكبرة متجبرة اغترت بقوتها وخدعت بشدة أجسادها حتى تفوهوا بكلمة التائه المغرور، والسادر المخمور الذي لا يفهم ولا يدرك حقيقة الأمور، إذ قالوا: ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت: ١٥]، وها هو نبي الله هود يقف أمام طغيانهم فيكسره، ويبين لهم عجزهم عن إضراره والنيل منه؛ لأنه في كفاية وحماية من يقول للشيء كن فيكون، يقول الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٤-٥٦]،

إنه لا يبالي بكيدهم ومكرهم برغم أن لهم السطوة والغلبة، ويريدون إطفاء ما معه من النور بأي طريق كان، وهو غير مكترث بهم، وهم عاجزون لا يقدرون أن ينالوه بشيء من السوء؛ لأنه متوكل على ربه مفوِّضٌ أمره إليه.

وهذا نبي الله الكليم الكريم موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرسله الله إلى أعتى طاغية وأخبث طاغوت، ذلكم فرعون الذي قال كلمة كفرية ما اجترأ أحد في العالمين أن يقولها غيره ولم تحفظ كلمة في التاريخ أكفر مما قاله، قال الله تعالى عنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٣-٢٤]، فجعله الله عبرة للمعتبرين وعظة للمتَّعِظين وأغرقه ومن معه أجمعين، هذا ولما أمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بدعوته والدخول عليه امتثل موسى أمر ربه، ولم يلتفت إلى جبروت فرعون وشدة بطشه واستخفافه بالدماء واستعداده لإيقاع أقسى عقاب بمن يخالفه أو يعصيه، فضلًا عن أن يغضبه ويناظره ويجادله، وبكل شجاعة يقف موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليسقط خرافة الطغيان، ودجل الكفر، فيقول لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإِسْرَاءِ: ١٠٢]، أي: حججًا وأدلة على صدق ما جئتك به، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإِسْرَاءِ: ١٠٢]، أي هالكًا كما قاله مجاهد وقتادةُ وقال ابن عباس: ملعونًا، وقال أيضًا هو والضحاك ﴿مَثْبُورًا﴾ أي: مغلوبًا، والهالك كما قال مجاهد يشمل هذا كله[1]، ولقد ناظره موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبطل حججه ودحض باطله ولم يجد شيئًا يدفع به موسى إلا البطش به وبالمؤمنين، ولكن الله أنجاه وأهلك فرعون وأرداه.

شجاعة مؤمن آل فرعون

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غَافِرٍ: ٢٦]، وهنا ظهر رجل الموقف الذي آزر موسى ونصره، وقال كلمة الحق عند هذا السلطان الجائر، قالها بشجاعة وقوة لينصر بها

(١) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» [٧٨٨].

دين الله وأهله القائمين به فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غَافِر: ٢٨]، إنه قال كلمة الحق ما خاف بطشًا ولا عقابًا ما فكر في أولاده وزوجته وماله بل كل ما تحرك من أجله هو نصرة الحق وأهله؛ لأن الآخرة عنده خير وأبقى من هذه الدنيا الزائلة الزائفة، وبقدر قوة اليقين في الآخرة يكون الإقدام على تسطير مثل هذه المواقف العظيمة التي تبقى شاهدة لأصحابها برسوخ الإيمان وتكون تبصرة وذكرى لأولي الألباب، ويمضي مؤمن آل فرعون في كلمات نيرات توقظ البصائر، وتحيي الضمائر، وقد ذكرها الله عنه في هذه السورة الكريمة سورة غافر، وختمت بقوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غَافِر: ٤٤-٤٥]، هكذا يكون التحرك للدين سبيل الوقاية والحماية والحفظ والرعاية، ويكون القعود والتثاقل إلى الأرض سبيل الهلاك وسقوط القدر عياذًا بالله.

شجاعة الصحابة

لقد أيَّد الله رسوله ﷺ بصحابة أوفياء بررة أصحاب شجاعة نادرة حيث بذلوا دماءهم وأرواحهم إعلاء لكلمة الله، واسترخصوا في سبيل ذلك كل غالٍ نفيس، وسطرت مواقفهم صفحة من الشجاعة لم تعهد لأحد من قبلهم ولا من بعدهم فقد دمدموا على الفرس والروم، وأزهقوا الباطل وأفزعوا أهله وهدموا عروش الوثنية، وقضوا على خرافة الكفر، وأزالوا عن العيون غشاوة الجهل، وأخذوا بنواصي الناس بإذن ربهم من الظلمات إلى النور، وأشجع الصحابة هو أفضلهم الصديق رضي الله عنه، وظهرت شجاعة الصديق في مواقفه المتعددة والتي منها دفاعه عن الرسول ﷺ، روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة ابن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه

فخنقه خنقًا شديدًا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غَافِر: ٢٨][(١)].

ومن ذلك ثباته مع رسول اله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جميع المعارك وقربه منه ودفاعه عنه، وأشجع مواقف الصديق في نظري ما كان منه عند وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تثبيته للأمة أمام هذه المحنة الشديدة الكبيرة التي عصفت بالقلوب، وزلزلت النفوس حتى إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو من هو جعل يقول: والله ما مات رسول الله وإذا كان هذا البلاء وقع البلاء على عمر فما بالك بمن دونه؟! ثم يأتي الصديق بقوة قلبه وثباته العجيب وشجاعته الفريدة؛ لكي يعيد النفوس إلى رشدها ويعلنها كلمة باقية خالدة: ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عِمْرَان: ١٤٤]، فنشج الناس يبكون[(٢)].

وكذلك إصراره على إنفاذ جيش أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذلك حينما أشار كثير من الصحابة بعدم إنفاذ هذا الجيش، وكان من جملتهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن الصديق رفض ذلك وأبى أشد الإباء وقال: والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جَرَّت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة وأمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أرعبوا منهم، وقالوا ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة[(٣)]، ومن ذلك قتاله للمرتدين، وإصراره

---

(١) رواه البخاري برقم [٤٨١٥].

(٢) رواه البخاري [٣٦٦٧].

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٦/ ٣٠٨) ط دار الكتب العلمية.

على ذلك وشجاعته في اتخاذ ذلك القرار، وعدم الرجوع عنه قال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرتُ أن اقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقها وحسابه على الله**»، فقال أبو بكر: والله لو منعوني عناقًا وفي رواية عقالا[(١)] كانوا يؤدونه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، قال عمر: فما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق[(٢)].

وهذا جعفر الطيار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يصبر على منازلة المنايا، ويصمد تحت وقع السيوف والرماح حتى يتقطع جسده، وتبتر ذراعاه ليثبت بدمه الزاكي وروحه الطيبة وجسده الطاهر حبه لهذا الدين وانتماءه له كما كان ذلك حال الصحابة الكرام

الدم الزاكي سرى في عرقهم ... فاض مسكًا وتندى عنبرا
فاسألوا عن كل نصر خالدًا ... واسألوا عن كل عدل عمرا

هذا جعفر قطعت يداه ومزق جسده ذودًا عن دينه ونصرة له، روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أمَّر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن قتل زيدٌ فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة**» قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ووجدناه في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية[(٣)]، وفي لفظ: ليس منها شيءٌ في دبره يعني في ظهره.

وهذا علي بن أبي طالب رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يخرج يوم خيبر إلى رجل يهودي يقدر بألف، ولكن عليًّا خرج إليه بشجاعته النادرة فعقره وقتله يقول سلمة بن الأكوع: ثم أرسلني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى علي وهو أرمد فقال: «**لأعطين**

(١) العناق: الماعز الصغيرة، والعقال: الحبل الذي يعقل به البعير.
(٢) رواه البخاري [٧٢٨٤]، ومسلم برقم [٣٢].
(٣) رواه البخاري برقم [٤٢٦١].

الراية رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فأتيت عليًا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فبصق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهَّبُ

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظره

أُوَفِّيهم بالصاع كيل السندرة

قال: فضرب رأس مرحب فقتله وكان الفتح على يديه(١)

وإذا ذكرت الشجاعة فليذكر بذكرها البطل المجاهد المجالد الكمي الباسل المغوار البطل المقدام خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ها هو في مؤته بعد قتل أمراء الجيش الثلاثة وكانت الهزيمة متحتمة وذلك لكثرة الأعداد الكافرة التي قُدِّرَتْ بمائتي ألف مقاتل في مقابل ثلاثة آلاف أتعبها وأرهقها قتال دام ستة أيام، ولكن البطل يحول دفة المعركة بعبقرية عجيبة وشجاعة زائدة، حتى فتح الله على يديه، وأنقذ الجيش المسلم من هزيمة كانت متحتمة، وعند ذلك نال خالد وسام الشرف الذي صار علمًا عليه إلى يوم يبعثون حين سماه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سيف الله، فعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نعى زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: «**أخذ الراية زيدٌ فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب -وعيناه تذرفان- حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم**»(٢).

(١) رواه مسلم برقم [١٨٠٧].

(٢) رواه البخاري برقم [٤٢٦٢].

ومن أخبار شجاعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه شرب كأس السم أمام أعداء الإسلام فلم يضره ذلك وكان لذلك المشهد أثره العظيم في نفوس أعدائه، روى الإمام أحمد عن قيس قال: أُتِيَ خالد بسمٍّ فقال: ما هذا؟! قال: سمٌّ تشربه[١]، وقد ذكر هذه الواقعة مفصلة وذلك أن ابن بقيلة حكيم نصارى العرب ومعمرهم وأرجحهم عقلًا لما دخل على خالد اصطحب معه إلى مقر قيادة خالد خادمًا يحمل كيسًا صغيرًا في وسطه فتناوله خالد فقال: ولم تحتقب السم؟ وكان رأس أهل الحيرة وكبير الذين فاوضوا خالدًا من أهل الحيرة، قال عمرو: خشيت أن تكون على غير ما رأيت من العدل وقد أتيت على أجلي والموت أحب إليَّ من مكروه أدخله على أهل قريتي، فأخذ خالد السم المذكور، وقال: إنها لن تموت نفس حتى تأتي على أجلها، بسم الله خير الأسماء، رب الأرض والسماء، الذي لا يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم، ثم وضع السم في فمه وبادروا ليمنعوه، ولكنه قد سبقهم فابتلعه وانتظروا ساعة ليصرع السم خالدًا فمضت ولم يضر السم خالدًا، كيف لا وهو من أكابر أولياء الله المتقين، وسيد المجاهدين في الشام والعراق، فقال ابن بقيلة عندئذٍ: لا والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم، قال الذهبي: قلت: هذه والله الكرامة وهذه الشجاعة[٢].

وهذا أبو محجن الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاتل يوم القادسية قتالًا وأقدم إقدامًا حتى ظن الناس أنه ملك عن ابن سيرين قال: كان أبو محجن الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يزال يجلد في الخمر فلما أكثر عليهم سجنوه وأوثقوه، فلما كان يوم القادسية رآهم يقتلون فكأنه رأى أن المشركين أصابوا من المسلمين فأرسل إلى أم ولد سعد أو إلى امرأة سعد يقول لها: إن أبا محجن يقول لك: إن خليت سبيله وحملته على الفرس ودفعت إليه سلاحًا ليكون أول من يرجع إليك إلا أن يقتل وأنشأ يقول:

---

(١) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» برقم [١٤٨٢]، وصححه الشيخ العدوي في «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» ص [٤١١].

(٢) «السير» للذهبي (١/ ٣٧٦).

كفى حزنًا أن تلتقي الخيل بالقنا ... وأُترك مشدودًا عليَّ وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغُلِّقت ... مصارع دوني قد تصم المناديا

فذهبت الأخرى فقالت ذلك لامرأة سعد، فحلَّت عنه قيوده وحمل على فرس كان في الدار، وأعطي سلاحًا ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدقُّ صلبه فنظر إليه سعد وجعل يتعجب منه ويقول: من ذلك الفارس؟ فلم يلبثوا يسيرًا حتى هزمهم الله ورجع أبو محجن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورد السلاح وجعل رجليه في القيود كما كان.

فجاء سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقالت له امرأته: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها ويقول: لقينا ولقينا، حتى بعث الله رجلًا على فرس أبلق لولا أني تركت أبا محجن في القيود لظننتُ أنها بعض شمائل أبي محجن فقالت: والله إنه لأبو محجن كان من أمره كذا وكذا فقصت عليه قصته فدعا به وحلَّ قيوده، قال أبو محجن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا والله لا أشربها أبدًا، كنت آنف أن أدعها من أجل جلدكم، قال: فلم يشربها بعد ذلك[1].

أي أخي، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

ولله در من قال:

أي يومَيَّ من الموت أفر ... يوم لا قدر أم يوم قدر
يوم لا قدر لا أرهبه ... ومن المقدور لا ينجو الحذر

وقال آخر يخاطب نفسه في ميدان القتال:

أقول لا وقد طارت شجاعًا ... من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم ... عن الأجل الذي لك لم تطاعي

(١) «الإصابة» (٤/ ١٧٤).

فصبرًا في مجال الموت صبرًا ... فما نيل الخلود بمستطاع
وما ثوب الحياة بثوب عز ... فيطوى عن أخ الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي ... فداعية لأهل الأرض داعي
وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المتاع

مجالات الشجاعة في الواقع

تقدم الحديث عن الشجاعة في الحروب والشجاعة الأدبية ومن مجالات الشجاعة ما يلي:

أولًا - الشجاعة في اتخاذ القرار:

وهذا من أهم عوامل النجاح للإنسان في حياته، لا سيما ونحن في عصر التردد والتلون، وترى من يريد أن يتوب ويقلع عن السيئات والمعاصي ولا يزال يسوِّف ويؤجل، ومثل هذا يحتاج إلى قرار شجاع حاسم، وأن يقدم غير مبالٍ ولا مكترث بما يتوقع من ضرر وفوات أغراض ورغبات، ترى شابًا يريد أن يلتحق بكلية ما أو أن يخطب فتاة فيظل مترددًا متحيرًا، وقد يدخل في محاولة ثم ينقضها، ويبدأ محاولة ثانية وثالثة بل وعاشرة ويظل معذبًا بذلك؛ لأنه يفشل أن يأخذ قرارًا شجاعًا فلمثل هذا نقول: استخر الله واستشر أهل الخبرة ثم أقبل وأقدم ولا تتردد، واعلم أنه لن يصيبك إلا ما كتبه الله لك، فتوكل على الله وأقبل على ما تظنه الخير لك ولا تتأخر واستعن بالله يعينك.

وترى من يريد أن يشتري شيئًا أو أن يبيع شيئًا أو أن يسافر سفرة ويظل مترددًا متحيرًا لأن في نفسه هلع وجزع، ولو توكل على الله وأقدم على ذلك العمل لوجد الخير إن شاء الله، لكن الذي يفوته أن يثق في اختيار الله له وتقدير الله له وأن يعلم أنه لن يكون في كون الله إلا ما قدره وقضاه، وماذا عسى أن يكون لو تقدم وعمل ما استخار الله فيه؟ لن يكون إلا الخير علمه العبد أم جهله.

openkanoni.com

وقد ترى رجلًا يتأذى بجيرانه ويزداد أذاهم له ومكرهم به وحقدهم عليه وهو يستطيع أن يسكن في مكان آخر ولكنه يظل مترددًا مع تجرعه لآلام الأذى، فنقول لمثل هذا: خذ قرارًا شجاعًا وانتقل من ذلك المكان واسترح، وإن استدعى ذلك التنازل عن بعض الحقوق، وهكذا في واقع الناس تجد أنه لا ينقصه في حياته إلا قرار شجاع.

وقد رأينا فيما سبق كيف بادر الصديق إلى حرب المرتدين وأصر على ذلك، وفي السيرة والتاريخ شواهد كثيرة لهذا المعنى، ولكن مما ينبغي التذكير به أنه لا بد أن يكون الباعث على هذا القرار ابتغاء وجه الله عَزَّوَجَلَّ وطلب رضاه، ومن رأى اللهُ الصدقَ من نيته؛ وفقه وسدده ولابد، واعلم أن هذه الشجاعة إنقاذ لصاحبها من القلق والحيرة.

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تترددا

ثانيًا- الشجاعة في الدعوة والبلاغ:

إن الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ أشرف ما يقوم به إنسان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣]، ومما ينبغي أن يوصف به الداعية شجاعة القلب وقوته، وألا يثنيه عن دعوته أذى أو إعراض أو تكذيب أو سخرية أو استهزاء؛ لأنه على قناعة أن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وأن الباطل مهما علا وبدا ظاهرًا قويًا فإنه ضعيف خاوٍ سرعان ما ينكسر أمام صولة الحق وقوته.

وما أعجب حال أولئك الإخوة الذين يجلس أحدهم في مجلس يسمع فيه غيبة فلا ينكر، ويسمع كذبًا فلا ينكر، ويسمع فحشًا وحلفًا بغير الله فلا ينكر، ويرى من يدخن أمام عينيه وفي مجلس فلا ينكر، أو يركب سيارة أو وسيلة من وسائل المواصلات ويسمع فيها الأغاني الماجنة ولا ينكر، عجيب أمرك!! متى تغار لدينك؟ وكيف ينتشر الحق إذا سكتَّ أنت وسكتُّ أنا؟! وكيف يعرف الناس الحرام من الحلال إذا وجدوا منا هذه السلبية المقيتة؟ وعفوًا إن قلت إن هذه ديانة منتنة وبرود سَمِجٌ، إن أقل ما ينبغي عليك إذا رأيت منكرًا أو سمعته أن تنكره بقلبك والإنكار بالقلب يستلزم أن تفارق المكان هل

أنت ضعيف؟! لماذا تجبن عن قول الحق، أتخشى الناس؟ فالله أحق أن تخشاه، أتستحي من الناس؟! فالله أحق أن تستحي منه، لماذا انتماؤنا لديننا ضعيف؟! لماذا لا نحرص كل الحرص على بلاغه وتعليمه ونشره؟! يا أخي، ما عليك إلا أن تبلغ برفق وحكمة والهداية ليست بيدك ولست تملكها، إنما الذي تسأل عنه بين يدي الله ما الذي قدمته؟! وما الذي قلته؟! وما الذي دعوت إليه أو نهيت عنه؟! هيا تحرك لدينك بشجاعة لا تكل ولا تمل ولا تضعف في نصرته ونشره والله معك ولن يَتِرَك عملك.

ثالثًا- الشجاعة أمام وسوسة الشيطان:

لقد أقسم الشيطان أنه سوف يظل يغويك ويَغُرَّك ويوسوس لك حتى يضلك، ومن استرسل مع الشيطان لم يقف به عند حد حتى يوصله إلى الكفر بالله، فلابد أن يدفع المرء وسوسة الشيطان بقوة وأن يخالف ما يأمره به، وأن يبادر بالاستعاذة بالله من شره، قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ ﴾ [فُصِّلَتۡ :٣٦]، وأن يسارع المرء إلى ذكر الله فيكثر منه ويتحصَّن به من الشيطان، فقد سماه الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴾ [النَّاسۡ :٤]، وسُمِّي خناسًا؛ لأنه ينخنس ويختفي عند ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذُكِرَ الله خنس، وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه: ذُكِرَ لي أن الشيطان الوسواس ينفث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فإذا ذكر الله خنس[(١)].

إذا وسوس لك الشيطان بالنظر إلى الحرام أو بأخذ مال حرام أو بعمل أي فعل محرم اقطع عليه الوسوسة بكل شجاعة وإقدام، وقم توضأ وصلِّ وادع وتضرع حتى يذهب عنك شره، وإياك أن يرى الشيطان من قلبك هوادة وركونًا إلى المعاصي؛ فإنه إن وجد ذلك أزَّك إليها أزًّا ودفعك إليها دفعًا، وكذلك قد يكدر الشيطان عليك حياتك بالهموم والغموم لكي يحزنك ويقعدك عن الخير، ولذلك قم وبادر واشغل وقتك وجوارحك

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير.

وعقلك بعمل الصالحات، فإن المشغول لا يُشغل، ولا يتمكن الشيطان إلا من قلب فارغ ضعيف، ومن الحروز التي تدفع بها الشيطان عن نفسك الذكر والاستعاذة، والإيمان والتوكل، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

والوضوء وترك النوم عن صلاة الصبح كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل نام ليلة حتى أصبح قال: «**ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه أو قال: في أذنه**»(١).

وغير ذلك من الحروز كثير، ولكن على المرء ألا يغفل عن عدوه وألا يسترسل معه بل عليه أن يدافعه بقوة وحزم وعزم ولا يترك له فرصة للوسوسة والتغرير.

رابعًا- الشجاعة أمام النفس:

وذلك بتهذيبها وتعليمها وتقويمها وحملها على فعل الطاعات وزجرها عن المعاصي والمخالفات، إن في النفس شرور وفيها أمر بسوء وفيها ركون إلى الكسل والمعاصي والنفس لا يشبعها شيءٌ ومهما وسع عليها المرء في الشهوات فسوف تطلب المزيد منها والشجاعة معها كفها ومنعها عما يضرها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]، إن المرء لو مال مع مرادات النفس فلن يطلب علمًا ولن يجاهد عدوًا ولن يبذل مالًا ولم يكن من وراء الاستسلام لرغبات النفس إلا الخذلان والحسرات والندم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فأمر سبحانه العبد أن ينظر ما قدم لغد وذلك يتضمن محاسبة نفسه على ذلك والنظر هل يصلح ما قدمه إن لقي الله به أو لا يصلح؟ والمقصود من هذا النظر ما يوجبه ويقتضيه من كمال الاستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما ينجيه من عذاب الله ويبيض وجهه عند الله، وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حاسبوا

(١) رواه البخاري برقم [٣٢٧٠]، ومسلم برقم [٧٧٤].

obeikandl.com

أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨][(١)]، فعلى العاقل أن يكبح جماح نفسه وأن يرد ما فيها من رغبات محرمة وليحترس من تعويقها له وعرقلتها له عن مواصلة السير إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فلن يغلب عدوه من لم يغلب نفسه ولن ينتصر على عدوه إلا إذا انتصر على نفسه، والنفس هي بداية الصلاح، والله المستعان.

خامسًا- الشجاعة في أداء الشهادة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة:٢٨٣]، الشجاع يؤدي الشهادة على نحو ما رأى وعلم دون أن يهاب عند أدائها جاه أو سطوة أو لوم لائم أو وعيد ناقم؛ لأن المرء مسئول يوم القيامة عن شهادته وكم تضيع حقوق؛ ويستولي الظالمون على حقوق المستضعفين بسبب سلبية شاهد وخوره وضعفه وخوفه، وقد يشهد بضدها فيكون بذلك قد ارتكب إثمًا كبيرًا والله سوف يجازي كل عامل بعمله، قال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤]، إنه قد تحدث حادثة قتل ويراها الناس وهم يعرفون القاتل لكنهم يشهدون بالزور ويقولون هذا نفعله بدلًا من أن تفقد البلدة رجلين أحدهما بالقتل والآخر بالإعدام أو المؤبد، وهم بذلك مرتكبون لإثم عظيم فإن للمقتول حقوقًا ولأوليائه حقوقًا وهم بذلك معطلون لحكم الله وشرعه عياذًا بالله.

ومن الشجاعة في أداء الشهادة إذا جاءك من يسألك عن فتاة ليخطبها أو بيت ليشتريه فإن واجب النصح أن تصدقه لا أن تدلس عليه فإذا استنصحك أخوك فانصح له.

وقفة لابد منها

ليست الشجاعة هي الإقدام على الموت والخطر في كل حال بل لابد من غاية تحصل من وراء ذلك، ولابد أن تستحق هذه الغاية ما يبذل في سبيلها، فقد يحارب المرء في غير معركة، ويكافح من غير فائدة، ولهذا كانت الشجاعة أحوج ما تكون إلى حكمة تحكمها

(١) «تهذيب المدارج» [١١٥].

وتضبطها وإن فقدت الشجاعة الحكمة صارت تهورًا أهوجًا، يقول الشيخ محمد الخضر حسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما زال الحكماء ينصحون الناس ألا يقدموا على موقع خطر إلا أن تكون فائدة الإقدام أكبر من خسارته، قال أبو الطيب المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
وإذا هما اجتمعا لنفس حرة حازت من العلياء كل مكان

في الشباب شجاعة، وفي الشيوخ تجارب، فإذا صدرت شجاعة شباب الأمة عن آراء شيوخها الحكماء فلا جرم أن يكون لها الموقف الحميد والأثر المجيد[(١)].

نعم، إن الإقدام في موطن يُحتاج فيه إلى التريث والتأني هذا نوع من التهور وإلقاء باليد إلى التهلكة، وكذلك التأخر في موطن يحتاج إلى إقدام هذا جبن وخور وخذلان يؤدي إلى طمع عدوك فيك والشجاعة وسط بين هذين الطرفين قيل لعنترة: ما الشجاعة؟ قال: صبر ساعة، قيل: كيف ذلك؟ فقال للسائل: هلُم فضع إصبعك في فمي وخذ إصبعي ضعه في فمك وعضني وأعضك، فلما فعل الرجل صرخ سريعًا فقال له عنترة: لو لم تصرخ أنت لصرخت أنا.

خطر الجبن

الجبن مرض خطير يفقد الإنسان مكانته وكرامته ويجرئ عليه عدوه ويسبب له الذل والخزي والخذلان ويجعله مهينًا بين الناس، الجبن عار يستر كل فضيلة، ويغطي المحاسن كلها، ولهذه الصفات الذميمة في الجبن لم يتصف به نبي ولا عالم فاضل ولا داعية صادق، وقد استعاذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجبن، كما في الصحيح أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا -يعني فتنة الدجال- وأعوذ بك من عذاب القبر»**[(٢)].

---

(١) «رسائل الإصلاح» (٢/ ٢٨).

(٢) رواه البخاري برقم [٢٨٢٢].

وقد أخرج البخاري من حديث جبير بن مطعم، أنه بينما هو يسير مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقفله من حنين فعلقت الناس يسألونه حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أعطوني ردائي، ولو كان لي عدد هذه العضاة نعمًا لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلًا ولا كذوبًا ولا جبانًا**»(١).

وفي هذا تنفير وتحذير من هذا الخلق المشين فلا زال هذا الخلق سبَّة في حق صاحبه وعيبًا شديدًا ونقصًا كبيرًا، فبينما يمدح الشجاع بمثل قول الشاعر

وإذا الصريخ دعاهم لملمَّة ... بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا

نجد الذم من الشعراء لأهل الجبن كما قيل:

إذا خلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالا

وقيل:

إذا صوت العصفور طار فؤاده ... وليث حديد الناب عند الثرائد

وقد قيل:

فلو أن برغوثًا على ظهر قملة ... يكر على الصفين منهم لولَّتِ

وحدث جار لأبي حنيفة النميري قال: كان لأبي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق، وكان يسميه لعَّاب المنية، فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتضاه (أي استله كهيئة المبارز) وهو واقف على باب بيته وقد سمع حسًّا في داره وهو يقول: أيها المغتر بنا المجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك، خير قليل وسيف صقيل وهو لعاب المنية الذي سمعت به، اخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، ثم فتح الباب على وجل فإذا كلب قد خرج فقال: الحمد لله أن مسخك كلبًا، وكفانا حربًا.

---

(١) رواه البخاري برقم [٢٨٢١]، ومعنى مقفله من حنين أي رجوعه من غزوة حنين، ومعنى علقت به الناس: أي أحاطوا به.

obeikandl.com

وخرج أسلم بن زرعة الكلابي في ألفين لمحاربة أبي بلال مرداس، وكان مرداس في أربعين رجلًا فانهزم أسلم منه فلامه على ذلك وذمه ابن أبي زياد فقال: لأن يذمني ابن أبي زياد حيًا أحب إليَّ من أن يمدحني ميتًا، وكان أسلم بعد ذلك إذا خرج إلى السوق ومرَّ بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك! فكبر ذلك عليه فشكاهم إلى ابن زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه[١].

هكذا كان الجبن منقصة وشينًا لصاحبه يظل ملازمًا له طول حياته وعند موته، وإنما يسكن الجبن قلب الهلوع الخوَّار الذي ساء ظنه بربه وعظم حرصه على الحياة حتى ولو كانت دنيئة خسيسة، لذلك أحذرك وأحذر نفسي من هذا المرض الخطير، ومن تكلف الشجاعة في كل موطن استقر معناها في نفسه، والفرق بين الجبان والشجاع صبر وحسن ظنٍّ بالله وثقة ويقين، فنعوذ بالله ثم نعوذ بالله من الجبن وأهله.

السبيل إلى الشجاعة

الشجاعة تكتسب مع المجاهدة وتزداد في القلب بذلك ومن هذه العوامل والأسباب التي تزيدها ما يلي:

أولًا - الثقة وتعظيم الأمر:

من أكبر ما يقوي الشجاعة الأدبية في النفوس تعظيم أمر الله تعالى وشدة الثقة بما وعد به أنصار الحق من العزة في الدنيا والسعادة في الآخرة، ومن قرأ التاريخ وسبر أحداثه وقف على أسماء رجال كثيرين لم ينالوا رفعة في حياتهم وذكرًا جميلًا بعد مماتهم إلا لأنهم كانوا يجهرون بكلمة الحق لا يصدهم عن الجهر بها خوف من صاحب سلطان أو طمع فيما بيده، إنهم يقدمون بالحق ويقولون كلمة الحق لا يصدهم عنها لوم لائم ولا مكر ماكر ولا تهديد ذي منصب لأن الحق في قلوبهم أعلى ونفوسهم به أعز وعليه أحرص وبه أقوم.

---

(١) «المستطرف» للأبشيهي [٣٠١-٣٠٢] ط دار الحديث.

ثانيًا- الإقلاع عن المعاصي والتوبة منها:

المعصية هي مادة فساد القلب وسبب خذلانه، وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المعصية سبب لهوان القلب وضعفه وكذلك البدن ففي ذكره عقوبات المعاصي يقول: ومنها أن المعاصي توهن القلب والبدن، أما وهنها للقلب فأمر ظاهر، بل لا تزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية، وأما وهنها للبدن فإن المؤمن قوته في قلبه وكلما قوي قلبه قوي بدنه، وأما الفاجر -وإن كان قوي البدن- فهو أضعف شيءٍ عند الحاجة، فتخونه قوته عند أحوج ما يكون إلى نفسه، وتأمل قوة أبدان فارس والروم كيف خانتهم عند أحوج ما كانوا إليها وقهرهم أهل الإيمان بقوة أبدانهم وقلوبهم[(١)].

ثالثًا- مجالسة أهل الشجاعة والقراءة عنهم:

مما يقوي شجاعة القلب أن يرى ويسمع المشاهد الشجاعة التي تؤثر في النفس وتدفعها إلى ذلك دفعًا وتقوي القلب وتغرس فيه الإقدام والاستهانة بالباطل وعدم الاكتراث به ثقةً بالله وتوكلًا عليه، وفي مطالعة أخبارهم دعوة للاقتداء بهم والسير على منوالهم فالنفس جبلت على التأسي، إن موقفًا كموقف أبي بكر النابلسي لَيُربِّي المسلم على العزة والشجاعة وقولة الحق في جرأة وإقدام، وذلك حينما ملك الروافض الفاطميون مصر وحاربوا أهل السنة وذبحوا العلماء وعطلوا الصلوات واستدعى طاغيتهم أبا بكر النابلسي وقاله له: بلغني عنك أنك قلت: لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت الفاطميين بسهم قال: لا، إنما قلت ينبغي رميكم أنتم بتسعة ورمي الروم بالعاشر، وموقف كشجاعة الإمام أحمد وثباته في مواجهة فتنة القول بخلق القرآن حتى حفظ الله به دينه ومعتقد أهل الحق، وكذلك موقف شيخ الإسلام ابن تيمية في مواجهة المبتدعة ودحض شبههم، وفي مواجهته للتتار ومجاهدته مع المسلمين وتحفيزه للأمراء على القتال وحثهم عليه حتى قال لهم: والله إننا سوف ننتصر، فقيل له: قل: إن شاء الله

---

(١) «الداء والدواء» ص [٨٥].

فقال: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا، بمثل هذه المواقف يربَّى أجيال الأمة على الشجاعة والصمود والإقدام وقوة القلب.

رابعًا- تقوية وترسيخ عقيدة الإيمان بالقدر:

من خلال الإيمان بالقضاء والقدر يتعلم المؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ويتعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيءٍ، فلن ينفعوه إلا بشيءٍ قد كتبه الله له، وإن اجتمعوا على أن يضروه بشيءٍ، فلن يضروه إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليه، وحينئذٍ يطمئن قلبه ويقدم بشجاعة وجرأة، عالمًا أن القعود لا يرد عنه المقدور، وأن الحذر لا يغني من القدر، بل إنه يبذل ويكافح ويجاهد وهو على يقين أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

خامسًا- الإكثار من الطاعات وإتقانها وتكلف الشجاعة:

الطاعة وقود الإيمان في القلب، وإذا أكثر العبد منها وأداها بإتقان وحضور قلب كانت سببًا في قوة القلب ورباطة جأشه وجرأته، ولهذا المعنى -والله أعلم- أمر الله بالإكثار من الذكر عند التقاء الصفوف ونشوب الحرب العوان الضروس، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، وما استُجلبت شجاعة القلب بمثل إعماره بمادة صلاحه ونجاته، وهي العبادة والطاعة المخلصة لله عَزَّوَجَلَّ، وأطوع الناس لله هم أشجعهم قلوبًا، وصفحات التاريخ تؤكد هذا المعنى للناظر فيها، ومما يقوي شجاعة القلب ويستجلبها تكلف الشجاعة وحمل النفس عليها، فإذا كان العلم بالتعلم والصبر بالتصبر والحلم بالتحلم، فكذلك الشجاعة بالتشجُّع، ومع تكرر المواقف يرسخ هذا المعنى في النفس ويثبت فيها بإذن الله، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا به.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com